[57] ومنها أن الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة، فانه لما كان قيامها على الاربع بأسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها في تحريك الذنب راحة، وفيه منافع اخرى يقصر عنها الوهم، يعرف موقعها في وقت الحاجة إليها، فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل (1) فلا يكون شئ أعون على نهوضها من الاخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مأربهم، ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا (2) على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها، وجعل حياءها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها، ألا ترى أنه تستطيع أن يأتيها كفاحا كما (3) يأتي الرجل المرأة ؟ تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما (4) إلى جوفه، ولولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئا من الارض، لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام، فلما عدم العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله (5) فيتناول به حاجته، فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذى عدمه ما يقوم مقامه إلا الرؤوف بخلقه ؟ وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة ؟ فان قال قائل: فما باله لم يخلق ذاعنق كسائر الانعام ؟ قيل له: إن رأس الفيل واذنيه أمر عظيم وثقل ثقيل، ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدها وأوهنها، فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه، فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته.

---

(1) أي تسقط فيه. (2) أي ملقى على وجهه (3) أي مستقبلا (4) الازدراد: البلع. (5) أي ليرسله ويرخيه. *
